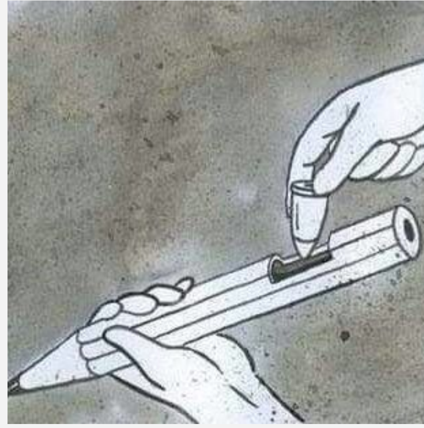
القلم المسلول على مكفر صحابة الرسول

وبيان الوقاحة في تكفير من طلب - من الحي - الشفاعة

- الرد على زندقة خارجية معتزلية حازمية -



ذو القعدة - 1440

بقلم
الفقير إلى ربه ؛
إبن السَّبَّاك - غفر الله له -

ibnsbk@hotmail.com

مقدمة

الحمد لله رب العالمين والعاقبة للمتقين ولا عدوان إلا على الظالمين والصلاة والسلام على رسوله الأمين وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين ، أما بعد ؛

لقد فشت قبل بضع سنين بدعة الحازمي المعتزلي الخارجي المارق في تكفير طالب الشفاعة - من الحي - وظننت أن المسألة قد حلت وأن الحجج الدامغة قد وضحت وأن أباطيله قد فضحت بأقلام كثير من الإخوة الفضلاء . ولكن نرى - بعد فترة - كثيرا من المسلمين الذين يخوضون مرة أخرى في هذه المسألة ويكفرون أو يبدعون ويضللون كل من طلب الشفاعة من الحي . بل حتى هناك قوم من الغلاة الذين يكفرون في هذه المسألة من لا يكفر المستشفع وأن هذا معلوم من التوحيد بالضرورة على زعمهم . والأمر خطير جدا ، لأن هذا القول المحدث يؤدي إلى تكفير الصحابة - رضي الله عنهم - بل حتى إلى تكفير رسول الله ﷺ كما سترون بعد قليل إن شاء الله تعالى .

وهذه الرسالة المختصرة للتذكير فقط بدون تفصيل . فقد جمعت فيها من الآثار الواضحة الساطعة ما ستبطل - إن شاء الله - هذه البدعة الشنيعة المارقة ، دفاعا عن السنة وسلفنا الصالح رضي الله عنهم أجمعين ، واقتداءً بأمر أمير المؤمنين الفاروق ؛ عمر بن الخطاب رضي الله عنه كما قال ؛

"سيأتي ناس يجادلونكم بشبهات القرآن فخذوهم بالسنن ، فإن أصحاب السنن أعلم بكتاب الله تعالى " [الشريعة ، الآجري ، 1 / 419]

اللهم يا رب جبرائيل وميكائيل وإسرافيل، فاطر السماوات والأرض ! أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون فاهدنا لما اختلف فيه من الحق بإذنك ، إنك تهدي من تشاء إلى صراط مستقيم . اللهم آمين .

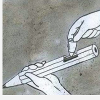
تشابهت قلوبهم

إن الحازمية والمعتزلة والجهمية والحرورية إخوة في تحكيم عقلهم وفي ابتداع أحكام توحيدهم وتكفير مخالفيهم وإلزام الناس بأباطيلهم . فكفروا من طلب الشفاعة من الحي بزعمهم أن هذا شرك أكبر وضده هو التوحيد وأن هذا الطالب ليس بموحد وأن من لم يكفره ما حقق التوحيد وما فهم التوحيد . فهم بذلك أخبث من المعتزلة والخوارج وأسوأ قيلا وأضل سبيلا .
وإن سألتهم عن الدليل وعن النص من آية أو أثر، رأيتهم منقطعا ومفلسا إلا المتشابه أو النتائج العقلية والأقيسة المنطقية . فمن زهد في الآثار ، لا بد له في الإستدلال أن يأخذ من الهوى والعقل . ومن كان هذا مسلكه فسيقع في البدع والمخالفات .

قال مالك بن أنس رحمه الله تعالى :

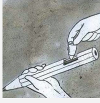
"ما قلّت الآثار في قوم إلّا كَثُرَت فيهم الأهواء ، وإذا قلّت العلماء ظهر في النّاس الجَفَاء."
[رواه الخطيب البغدادي في الفقيه والمتفقه (1 / 383) عن ابن أبي أويس]

وقال محمد بن عبد الرحمن الأدرمي لرجل تكلم ببدعة ودعا الناس إليها : **" هل علمها رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر وعمر وعثمان وعلي ، أو لم يعلموها ؟ قال لم يعلموها ، قال : فشيء لم يعلمه هؤلاء أعلمته أنت ؟ قال الرجل : فإني أقول : قد علموها ، قال : أفوسعهم أن لا يتكلموا به ، ولا يدعوا الناس إليه ، أم لم يسعهم ؟ قال : بلى وسعهم ، قال فشيء وسع رسول الله صلى الله عليه وسلم وخلفاءه لا يسعك أنت ؟ فانقطع الرجل . فقال الخليفة - وكان حاضرا - : لا وسع الله على من لم يسعه ما وسعهم . "** [لمعة الإعتقاد ، إبن قدامة المقدسي ، 9]



وقال الإمام ابن بطة العكبري رحمه الله تعالى في الجهمية وتوحيدهم الباطل وتكفيرهم للمسلمين ؛

" فاعلموا رحمكم الله أن رؤساء الكفر والضلال من الجهمية الملحدة ألقت إليهم الشياطين من إخوانهم الخصومة بالمتشابه من القرآن ، فزاغت به قلوبهم، فضلوا وأضلوا ، فقل للجهمي الضال: هذا كتاب الله عز وجل ، سماه الله في كتابه قرآنا وفرقانا ونورا وهدى ووحيا وتبيانا وذكرا وكتابا وكلاما وأمرا وتنزيلا ، وفي كل ذلك يعلمنا أنه كلامه منه ومتصل به قال الله تعالى :
{ حم تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم } [غافر : ٢]
وقال ؛ { حم تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم } [الجاثية : ١]
فلك في أسمائه التي سماه الله بها كفاية ، فقد جهلت وغلوت في دين الله غير الحق ، وافتريت على الله الكذب والبهتان حين زعمت أن القرآن مخلوق ، وزعمت أن ذلك هو التوحيد ، وأنه دين الله الذي لا يقبل من العباد غيره ، وأن من لم يقل بمقالتك ويتبعك على إلحادك وضلالتك فليس بموحد ، تكفره وتستحل دمه ، فكل ما قلته وابتدعته أيها الجهمي ، فقد أكذبك الله عز وجل فيه ، ورده عليك هو ورسوله والمسلمون جميعا من عباد غيرة ، وإنما التمسنا دعواك هذه في كتاب الله ، وفي سنة نبيه صلى الله عليه وسلم ، وفي إجماع المسلمين وصالحي المؤمنين ، فلم نجد في ذلك شيئا مما ادعيته قال الله عز وجل ؛ { وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا يوحى إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون } ولم يقل : وأن تقولوا : القرآن مخلوق . وقال الله تعالى ؛ { ولقد وصينا الذين أوتوا الكتاب من قبلكم وإياكم أن اتقوا الله } [النساء : ١٣١] ولم يقل وأن تقولوا القرآن مخلوق . وقال تعالى { يا أيها الذين آمنوا اركعوا واسجدوا واعبدوا ربكم . . . } [الحج : ٧٧] إلى قوله { وما جعل عليكم في الدين من حرج ملة أبيكم إبراهيم هو سماكم المسلمين من قبل} [الحج : ٧٨] ولم يقل : وأن تقولوا : القرآن مخلوق . وقال { شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذي أوحينا إليك وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه } [الشورى : ١٣]



وقال { فأقم وجهك للدين حنيفا فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله } [الروم : ٣٠] وقال تعالى { الر كتاب أحكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير ألا تعبدوا إلا الله } [هود : ١]

وقال عز وجل { وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة وذلك دين القيمة } [البينة : ٥]

وقال { ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شيء } [النحل : ٨٩] وقال { ما فرطنا في الكتاب من شيء } [الأنعام : ٣٨]

وقال { وكل شيء أحصيناه في إمام مبين } [يس : ١٢] وقال { وما كان الله ليضل قوما بعد إذ هداهم حتى يبين لهم ما يتقون } [التوبة : ١١٥]

فمثل هذا وشبهه في القرآن كثير، قد قرأناه وفهمناه ، فلم نجد لبدعتك هذه فيه ذكرا ولا أثرا ، ولا دعا الله عباده ولا أمرهم بشيء مما زعمت أنه توحيده ودينه أفتزعم أن الله عز وجل أغفل هذا أم نسيه حتى ذكرته أنت وأنبهته عليه ؟ فقد أكذبك الله عز وجل فقال ؛ { وما كان ربك نسيا } [مريم : ٦٤]

وقال { ما فرطنا في الكتاب من شيء } [الأنعام : ٣٨]

أم عساك تزعم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خان في دينه ، وكتم ما أمره بتبليغه ؟ فإن في جرأتك على الله وعلى رسوله ما قد قلت ما هو أعظم من هذا وكل ذلك فقد أكذبك الله فيه ، فقال تعالى : { الذين يتبعون الرسول النبي الأمي الذي يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة والإنجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر . . . } [الأعراف : ١٥٧] إلى قوله { النبي الأمي الذي يؤمن بالله وكلماته واتبعوه لعلكم تهتدون } [الأعراف : ١٥٨]

وقال { وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين } [الأنبياء : ١٠٧] وقال { وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم ولعلهم يتفكرون } [النحل : ٤٤] وقال { يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته } [المائدة : ٦٧]

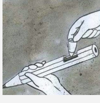
وقال { وما على الرسول إلا البلاغ المبين } [النور : ٥٤]

وقال { فاصدع بما تؤمر وأعرض عن المشركين إنا كفيناك المستهزئين } [الحجر : ٩٤]

وقالت عائشة : من زعم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كتم شيئا مما أنزله الله عليه ، فقد أعظم الفرية على الله . يقول الله : { يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك } [المائدة : ٦٧] الآية .
ثم التمسنا هذه الضلالة التي اخترعتها وزعمت أنها الشريعة الواجبة والدين القيم والتوحيد اللازم الذي لا يقبل الله من العباد غيره بأن يقولوا : القرآن مخلوق في سنة المصطفى، وما دعا إليه أمته وقاتل من خالفه عليه ، فما وجدنا لذلك أثرا ولا إمارة ولا دلالة . قال النبي صلى الله عليه وسلم : بني الإسلام على خمس : شهادة أن لا إله إلا الله ، وإقام الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، وحج البيت ، وصوم رمضان
فزعمت أيها الجهمي أنها ست بضلالتك هذه .

وقال النبي صلى الله عليه وسلم : أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا : لا إله إلا الله ، ويقيموا الصلاة ، ويؤتوا الزكاة ، فإذا فعلوا ذلك ، حرمت علي دماؤهم وأموالهم إلا بحقها وحسابهم على الله . وقال صلى الله عليه وسلم : لا يحل دم امرئ مسلم يشهد أن لا إله إلا الله إلا بإحدى ثلاث : الثيب الزاني ، والتارك لدينه ، والنفس بالنفس
.
وقال لوفد عبد القيس حين قدموا عليه ، فأمرهم بالإيمان بالله ، وقال : أتدرون ما الإيمان بالله ؟ قالوا : الله ورسوله أعلم. قال : شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله ، وإقام الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، وصوم رمضان ، وأن تعطوا الخمس من المغنم . وقال الله تعالى : { ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيرا } [النساء : ١١٥]

فهذا كتاب الله يكذبك أيها الجهمي ، وسنة نبيه وإجماع المؤمنين وسبيلهم تخالفك ، وتدل على ضلالتك ، وعلى إبطال ما ادعيته من أن قولك : القرآن مخلوق هو التوحيد والدين ، الذي شرعه الله لعباده ، وبعث به رسوله ، فقد بطل الآن ما ادعيته من قولك : إن التوحيد هو أن يقال : القرآن مخلوق، وبان كذبك وبهتانك للعقلاء
فأخبرنا الله عز وجل عن خلق ما خلق من الأشياء،



فإنا نحن قد أوجدناك في آيات كثيرة من كتابه ، وأخبار صحيحة عن رسول الله أن القرآن كلام الله ومنه ، وفيه صفاته وأسماءه ، وأنه علم من علمه ، وأنه ليس بجائز أن يكون شيء من الله ولا من صفاته ، ولا من أسمائه ، ولا من علمه، ولا من قدرته ، ولا من عظمته ، ولا من عزته مخلوقة ورأيناك أيها الجهمي تزعم أنك تنفي التشبيه عن الله بقولك : إن القرآن مخلوق، ورأيناك شبهت الله عز وجل بأضعف ضعيف من خلقه فإن كلام العباد مخلوقة، وأسماءهم مخلوقة، وعلم الناس مخلوق ، وقدرتهم وعزتهم مخلوقة ، فأنت بالتشبيه أحق وأخلق ، وأنت فليس تجد ما قلته من أن القرآن مخلوق في كتاب الله ، ولا في سنة نبيه ، ولا مأثورا عن صحابته ، ولا عن أحد من أئمة المسلمين ، فحينئذ لجأ الجهمي إلى آيات من المتشابه جهل علمها .

[الإبانة الكبرى ، إبن بطة العكبري ، 6 / 150 - 157]

رحمه الله رحمة واسعة. فرد الإمام عليهم برد موجز ممتاز . وهذا المذهب الخبيث عين ما عليه الحازمية في مسألة التكفير و طلب الشفاعة وفي مسائل أخرى .

الشفاعة في الآيات بين النفي والإثبات

فكثير ما يستدلون بها من الحجج غير محكمة . بل محكمة في حد ذاتها ولكن صارت تحت أهوائهم متشابهة لما يشتهون ابتغاءً تأويلها. فالآيات محكمة كلها - من بعض الوجوه - لمن يفهم ويحسن الجمع ويعلم موضع الخطاب .

كما قال عبد الله بن عمر رضى الله عنهما :
" الخوارج إنطلقوا إلى آيات نزلت فى المشركين فجعلوها على المؤمنين . "
[تفسير القرآن العظيم (56 / 4) ، والأثر أيضاً فى صحيح البخارى]

وكما قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله ؛
" وكانت البدع الأولى مثل بدعة الخوارج ، إنما هي من سوء فهمهم للقرآن ، ولم يقصدوا معارضته ، لكن فهموا منه ما لم يدل عليه ، ... "
[مجموع الفتاوى (13 / 20)]

وقال الإمام محمد بن الحسين الآجري رحمه الله تعالى في باب وجوب الإيمان بالشفاعة في كتاب الشريعة ؛

- ولا أتهم الحازمي ولا من تبعه في هذه البدعة ؛ بإنكار الشفاعة ولكن تشابهت قلوبهم بقلوب المعتزلة والخوارج في تكفير المسلمين والمخالفين لهم بحق وفي وتحكيم عقلهم واستحسان آرائهم دون الأخبار وسنن الأخيار -

" إعلموا رحمكم الله , أن المنكر للشفاعة يزعم أن من دخل النار فليس بخارج منها , وهذا مذهب المعتزلة يكذبون بها , وبأشياء سنذكرها إن شاء الله تعالى , مما لها أصل في كتاب الله عز وجل , وسنن رسول الله صلى الله عليه وسلم , وسنن الصحابة رضي الله عنهم ومن تبعهم بإحسان , وقول فقهاء المسلمين.

فالمعتزلة يخالفون هذا كله , لا يلتفتون إلى سنن رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولا إلى سنن أصحابه رضي الله عنهم وإنما يعارضون بمتشابه القرآن , وبما أراهم العقل عندهم , وليس هذا طريق المسلمين وإنما هذا طريق من قد زاغ عن طريق الحق وقد لعب به الشيطان , وقد حذرنا الله عز وجل ممن هذه صفته , وحذرناهم النبي صلى الله عليه وسلم وحذرناهم أئمة المسلمين قديما وحديثا , فأما ما حذرناهم الله عز وجل وأنزله على نبيه صلى الله عليه وسلم , وحذرناهم النبي صلى الله عليه وسلم , فإن الله عز وجل قال لنبيه صلى الله عليه وسلم : { هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات, هن أم الكتاب وأخر متشابهات } [آل عمران : ٧] إلى قوله : { وما يذكر إلا أولو الألباب }

حدثنا أبو أحمد هارون بن يوسف بن زياد قال : حدثنا محمد بن أبي عمر العدني قال : أنا عبد الوهاب الثقفي , عن أيوب , عن ابن أبي مليكة , عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قرأ { هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب } [آل عمران : ٧] الآية فقال : « إذا رأيتم الذين يجادلون فيه فهم الذين عنى الله عز وجل فاحذروهم »

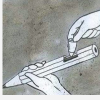
حدثنا أبو بكر بن أبي داود قال : نا يونس بن حبيب الأصبهاني قال : نا أبو داود الطيالسي قال : أنبأنا حماد يعني ابن سلمة عن ابن أبي مليكة , عن القاسم , عن عائشة رحمها الله تعالى قالت : تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية : { هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات } [آل عمران : ٧] إلى قوله عز وجل : { فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه } [آل عمران : ٧] قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « قد سماهم الله عز وجل لكم , فإذا رأيتموهم فاحذروهم » قالها ثلاثا .

وأخبرنا أبو عبيد علي بن الحسين بن حرب القاضي قال : نا الحسن بن محمد الزعفراني قال : نا سعيد بن سليمان قال : نا عبد الواحد بن سليم قال : نا يزيد الفقير قال : كنا بمكة من قطانها , وكان معي أخ لي يقال له : طلق بن حبيب , وكنا نرى رأي الحرورية , فبلغنا أن جابر بن عبد الله الأنصاري قدم , وكان يلزم في كل موسم , فأتيناه فقلنا له : بلغنا عنك قول في الشفاعة, وقول الله عز وجل يخالفك , فنظر في وجوهنا , وقال : من أهل العراق أنتم ؟ فقلنا : نعم , قال : فتبسم أو ضحك ,

وقال : أين تجدون في كتاب الله عز وجل ؟ قلنا : حيث يقول ربنا عز وجل في كتابه : { ربنا إنك من تدخل النار فقد أخزيته } [آل عمران : ١٩٢]

وقال عز وجل : { يريدون أن يخرجوا من النار وما هم بخارجين منها } [المائدة : ٣٧] وقوله عز وجل { كلما أرادوا أن يخرجوا منها من غم أعيدوا فيها } [الحج : ٢٢] , وأشباه هذا من القرآن , فقال : أنتم أعلم بكتاب الله عز وجل أم أنا ؟ فقلنا : بل أنت أعلم به منا , قال : فوالله لقد شهدت تنزيل هذا على رسول الله صلى الله عليه وسلم , ولقد شهدت تأويله من رسول الله صلى الله عليه وسلم , وأن الشفاعة في كتاب الله عز وجل لمن عقل قال : قلنا : وأين الشفاعة ؟ قال : في سورة المدثر قال : فقرأ علينا { ما سلككم في سقر قالوا لم نك من المصلين ولم نك نطع المسكين وكنا نخوض مع الخائضين وكنا نكذب بيوم الدين حتى أتانا اليقين فما تنفعهم شفاعة الشافعين:} [المدثر : ٤٣] ثم قال : ألا ترونها حلت لمن لم يشرك بالله عز وجل شيئا , سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : " إن الله عز وجل خلق الخلق ولم يستعن على ذلك أحدا , ولم يشاور في أحدا ثم أماتهم , ولم يستعن على ذلك أحدا , ولم يشاور فيه أحدا , ثم أحياهم , ولم يستعن على ذلك أحدا , ولم يشاور فيه أحدا , فأدخل من شاء الجنة برحمته , وأدخل من شاء النار بذنبه , ثم إن الله عز وجل تحنن على الموحدين فبعث بملك من قبله بماء ونور : فدخل النار فلم يصب إلا من شاء الله ولم يصب إلا من خرج من الدنيا ولم يشرك بالله شيئا , فأخرجهم حتى جعلهم بفناء الجنة:, ثم رجع إلى ربه عز وجل : فأمده بماء ونور فنضح ولم يصب إلا من شاء الله ولم يصب إلا من خرج من الدنيا ولم يشرك بالله شيئا , إلا أصابه ذلك النضح , فأخرجهم حتى جعلهم بفناء الجنة , ثم أذن للشفعاء فشفعوا لهم فأدخلهم الجنة برحمته وشفاعة الشافعين . "

حدثنا أبو القاسم عبد الله بن محمد بن عبد العزيز البغوي قال : نا شيبان بن فروخ قال : نا مبارك بن فضالة قال : نا يزيد بن صهيب قال : مررت بجابر بن عبد الله , وهو في حلقة يحدث أناسا , فجلست إليه , فسمعته يذكر أناسا يخرجون من النار قال؛: وكنت يومئذ أنكر ذلك قال : فقلت : والله ما أعجب من الناس , ولكن أعجب منكم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ,



يقول الله عز وجل : { يريدون أن يخرجوا من النار وما هم بخارجين منها , ولهم عذاب مقيم } [المائدة : ٣٧] ...

فانتهرني أصحابه وكان أحلمهم , فقال : دعوا الرجل , ثم قال : إنما قال الله عز وجل : { إن الذين كفروا لو أن لهم ما في الأرض جميعا ومثله معه ليفتدوا به من عذاب يوم القيامة ما تقبل منهم ولهم عذاب أليم يريدون أن يخرجوا من النار وما هم بخارجين منها ولهم عذاب مقيم } [المائدة : ٣٧]
قال : وما تقرأ القرآن : { ومن الليل فتهجد به نافلة لك عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا } [الإسراء : ٧٩]
قال : فإن الله عز وجل عذب قوما بخطاياهم وإن شاء أن يخرجهم أخرجهم قال : فلم أكذب به بعد ذلك . "

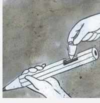
قال محمد بن الحسين الآجري رحمه الله تعالى : إن المكذب بالشفاعة أخطأ في تأويله خطأ فاحشا خرج به عن الكتاب والسنة , وذلك أنه عمد إلى آيات من القرآن نزلت في أهل الكفر , أخبر الله عز وجل : أنهم إذا دخلوا النار أنهم غير خارجين منها , فجعلها المكذب بالشفاعة في الموحدين , ولم يلتفت إلى أخبار رسول الله صلى الله عليه وسلم في إثبات الشفاعة أنها إنما هي لأهل الكبائر , والقرآن يدل على هذا , فخرج بقوله السوء عن جملة ما عليه أهل الأيمان , واتبع غير سبيلهم ، قال الله عز وجل: { ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيرا } [النساء : ١١٥]

قال محمد بن الحسين الآجري رحمه الله : فكل من رد سنن رسول الله صلى الله عليه وسلم وسنن أصحابه فهو ممن شاقق الرسول وعصاه , وعصى الله تعالى بتركه قبول السنن , ولو عقل هذا الملحد وأنصف من نفسه , علم أن أحكام الله عز وجل وجميع ما تعبد به خلقه إنما تؤخذ من الكتاب والسنة , وقد أمر الله عز وجل نبيه عليه السلام : أن يبين لخلقه ما أنزله عليه مما تعبدهم به , فقال جل ذكره : { وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم ولعلهم يتفكرون } [النحل : ٤٤]

وقد بين صلى الله عليه وسلم لأمته جميع ما فرض الله عز وجل عليهم من جميع الأحكام وبين لهم أمر الدنيا وأمر الآخرة وجميع ما ينبغي أن يؤمنوا به ولم يدعهم جهلة لا يعلمون حتى أعلمهم أمر الموت والقبر وما يلقى المؤمن , وما يلقى الكافر ,

وأمر المحشر والوقوف وأمر الجنة والنار حالا بعد حال يعرفه أهل الحق , وسنذكر كل باب في موضعه إن شاء الله تعالى .

إعلموا يا معشر المسلمين : أن أهل الكفر إذا دخلوا النار ورأوا العذاب الأليم وأصابهم الهوان الشديد نظروا إلى قوم من الموحدين معهم في النار فعيروهم بذلك وقالوا : ما أغنى عنكم إسلامكم في الدنيا وأنتم معنا في النار ؟ فزاد أهل التوحيد من المسلمين حزنا وغما , فاطلع الله عز وجل على ما نالهم من الغم بتعيير أهل الكفر لهم فأذن في الشفاعة فيشفع الأنبياء والملائكة والشهداء والعلماء والمؤمنون فيمن دخل النار من المسلمين فأخرجوا منها على حسب ما أخبرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم على طبقات شتى فدخلوا الجنة , فلما فقدهم أهل الكفر ودوا حينئذ لو كان مسلمين وأيقنوا أنه ليس شافع يشفع لهم , ولا صديق حميم يغني عنهم من عذابهم شيئا قال الله عز وجل في أهل الكفر لما نضجوا بالعذاب وعلموا أن الشفاعة لغيرهم ، قالوا : { فهل لنا من شفعاء فيشفعوا لنا أو نرد فنعمل غير الذي كنا نعمل } [الأعراف : ٥٣] الآية ,
وقال عز وجل: { فكبكبوا فيها هم والغاوون } [الشعراء : ٩٤] , { وجنود إبليس أجمعون} [الشعراء : ٩٥] , { قالوا وهم فيها يختصمون } [الشعراء : ٩٦] , { تالله إن كنا لفي ضلال مبين } [الشعراء : ٩٧] , { إذ نسويكم برب العالمين } [الشعراء : ٩٨] , {وما أضلنا إلا المجرمون } [الشعرا : ٩٩] , { فما لنا من شافعين} [الشعراء : ١٠٠] , { ولا صديق حميم} [الشعراء : ١٠١]
وقال عز وجل في سورة المدثر وقد أخبر أن الملائكة قالت لأهل الكفر : { ما سلككم في سقر } [المدثر : ٤٢] , { قالوا : لم نك من المصلين ولم نك نطعم المسكين } [المدثر : ٤٣] , { وكنا نخوض مع الخائضين } [المدثر : ٤٥] , { وكنا نكذب بيوم الدين } [المدثر : ٤٦] , { حتى أتانا اليقين } [المدثر : ٤٧] , { فما تنفعهم شفاعة الشافعين } [المدثر : ٤٨]



قال محمد بن الحسين الآجري رحمه الله تعالى :
هذه كلها أخلاق الكفار ،فقال عز وجل : { فما تنفعهم شفاعة الشافعين } [المدثر : ٤٨] فدل على أن لابد من شفاعة وأن الشفاعة لغيرهم لأهل التوحيد خاصة , وقال الله عز وجل : { الر تلك آيات الكتاب وقرآن مبين } [الحجر : ١] ،{ ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين } [الحجر : ٢]

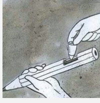
قال محمد بن الحسين الآجري رحمه الله تعالى : وإنما يود الكفار أن لو كانوا مسلمين عندما رأوا معهم في النار قوما من الموحدين فعيروهم وقالوا: ما أغنى عنكم إسلامكم وأنتم معنا في النار فحزنوا من ذلك فأمر الله عز وجل الملائكة والأنبياء ومن سائر المؤمنين أن يشفعوا فيهم فشفعوا فأخرج من في النار من أهل التوحيد ففقدهم أهل الكفر فسألوا عنهم فقيل : شفع فيهم الشافعون لأنهم كانوا مسلمين , فعندها ودوا لو كانوا مسلمين حتى تلحقهم الشفاعة . "
[الآجري ، الشريعة ، 3 / 1199 - 1203]

فاستدلوا بآيات نزلت في المشركين وظاهرها مجملة كهذه الآيات ؛

قال الإمام ابن جرير الطبري رحمه الله ؛

" القول في تأويل قوله تعالى : (أَمِ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ شُفَعَاءَ قُلْ أَوَلَوْ كَانُوا لا يَمْلِكُونَ شَيْئًا وَلا يَعْقِلُونَ (٤٣) قُلْ لِلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعًا لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (٤٤))

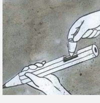
يقول تعالى ذكره : " أم اتخذ هؤلاء المشركون بالله من دونه آلهتهم التي يعبدونها شفعاء تشفع لهم عند الله في حاجاتهم . "
[جامع البيان — ابن جرير الطبري (٣١٠ هـ)]



وقال الإمام ابن جرير الطبري رحمه الله :

" القول في تأويل قوله تعالى : (وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لا يَضُرُّهُمْ وَلا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ قُلْ أَتُنَبِّئُونَ اللَّهَ بِمَا لا يَعْلَمُ فِي السَّمَاوَاتِ وَلا فِي الأَرْضِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ (١٨))

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : ويعبُد هؤلاء المشركون الذين وصفت لك، يا محمد صفتهم ، من دون الله الذي لا يضرهم شيئًا ولا ينفعهم ، في الدنيا ولا في الآخرة ، وذلك هو الآلهة والأصنام التي كانوا يعبدونها = (ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله) ، يعني : أنهم كانوا يعبدونها رجاء شفاعتها عند الله قال الله لنبيه محمد صلى الله عليه وآله : (قل) لهم (أتنبئون الله بما لا يعلم في السموات ولا في الأرض) ، يقول : أتخبرون الله بما لا يكون في السموات ولا في الأرض؟ وذلك أن الآلهة لا تشفع لهم عند الله في السموات ولا في الأرض . وكان المشركون يزعمون أنها تشفع لهم عند الله . فقال الله لنبيه صلى الله عليه وآله : قل لهم : أتخبرون الله أن ما لا يشفع في السموات ولا في الأرض يشفع لكم فيهما ؟ وذلك باطلٌ لا تعلم حقيقته وصحته ، بل يعلم الله أن ذلك خلاف ما تقولون ، وأنها لا تشفع لأحد ، ولا تنفع ولا تضر ،
(سبحان الله عما يشركون) ، يقول : تنزيهًا لله وعلوًّا عما يفعله هؤلاء المشركون ، من إشراكهم في عبادته ما لا يضر ولا ينفع ، وافترائهم عليه الكذب . "
[جامع البيان — ابن جرير الطبري (٣١٠ هـ)]



فأين هؤلاء المشركين الذين افتروا على الله الكذب - بدعواهم أن تلك الأصنام شركاء لله في الشفاعة بدون برهان ولا دليل - ، من المؤمنين الذين يؤمنون بالكتاب كله وبسنة نبيه ، ويفردون الله في ملكه ويستدلون بأخبار نبيه وفعال صحابته مع سلامة اعتقادهم بأن الشفاعة كلها لله ؟ !

وقال الإمام ابن جرير الطبري رحمه الله أيضا ؛

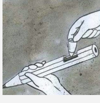
القول في تأويل قوله تعالى (وَلا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ) [البقرة ٤٨]

قال أبو جعفر : و " الشفاعة " مصدر من قول الرجل : " شفع لي فلان إلى فلان شفاعة " وهو طلبه إليه في قضاء حاجته . وإنما قيل للشفيع " شفيع وشافع " لأنه ثنى المستشفع به ، فصار به شفعا فكان ذو الحاجة - قبل استشفاعه به في حاجته - فردا ، فصار صاحبه له فيها شافعا ، وطلبه فيه وفي حاجته شفاعة . ولذلك سمي الشفيع في الدار وفي الأرض" شفيعا " لمصير البائع به شفعا .

فتأويل الآية إذا : واتقوا يوما لا تقضي نفس عن نفس حقا لزمها لله جل ثناؤه ولا لغيره ، ولا يقبل الله منها شفاعة شافع ، فيترك لها ما لزمها من حق .

وقيل : إن الله عز وجل خاطب أهل هذه الآية بما خاطبهم به فيها ، لأنهم كانوا من يهود بني إسرائيل ، وكانوا يقولون : نحن أبناء الله وأحباؤه وأولاد أنبيائه ، وسيشفع لنا عنده آباؤنا . فأخبرهم الله جل وعز أن نفسا لا تجزي عن نفس شيئا في القيامة ، ولا يقبل منها شفاعة أحد فيها حتى يستوفى لكل ذي حق منها حقه . كما : -

٨٨٠ - حدثني عباس بن أبي طالب ، قال : حدثنا حجاج بن نصير ، عن شعبة ، عن العوام بن مراجم - رجل من قيس بن ثعلبة - ، عن أبي عثمان النهدي ، عن عثمان بن عفان : أن رسول الله ﷺ قال : إن الجماء لتقتص من القرناء يوم القيامة ، كما قال الله عز وجل (وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا) ... [الأنبياء : ٤٧] الآية .



فآيسهم الله جل ذكره مما كانوا أطمعوا فيه أنفسهم من النجاة من عذاب الله - مع تكذيبهم بما عرفوا من الحق وخلافهم أمر الله في اتباع محمد ﷺ وما جاءهم به من عنده - بشفاعة آبائهم وغيرهم من الناس كلهم ؛ وأخبرهم أنه غير نافعهم عنده إلا التوبة إليه من كفرهم والإنابة من ضلالهم ، وجعل ما سن فيهم من ذلك إماما لكل من كان على مثل منهاجهم لئلا يطمع ذو إلحاد في رحمة الله .

وهذه الآية وإن كان مخرجها عاما في التلاوة ، فإن المراد بها خاص في التأويل لتظاهر الأخبار عن رسول الله ﷺ أنه قال : " شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي " وأنه قال : " ليس من نبي إلا وقد أعطي دعوة ، وإني اختبأت دعوتي شفاعة لأمتي ، وهي نائلة إن شاء الله منهم من لا يشرك بالله شيئا " .

فقد تبين بذلك أن الله جل ثناؤه قد يصفح لعباده المؤمنين - بشفاعة نبينا محمد ﷺ لهم - عن كثير من عقوبة إجرامهم بينهم وبينه وأن قوله : (ولا يقبل منها شفاعة) إنما هي لمن مات على كفره غير تائب إلى الله عز وجل . وليس هذا من مواضع الإطالة في القول في الشفاعة والوعد والوعيد ، فنستقصي الحجاج في ذلك ، وسنأتي على ما فيه الكفاية في مواضعه إن شاء الله . "

[جامع البيان — ابن جرير الطبري (٣١٠ هـ)]

فخصص تأويل الآية واستثنى المؤمن .

وقال الإمام ابن جرير الطبري رحمه الله ؛

وأما قوله : " من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه " يعني بذلك : من ذا الذي يشفع لمماليكه إن أراد عقوبتهم ، إلا أن يخليه ، ويأذن له بالشفاعة لهم . وإنما قال ذلك تعالى ذكره لأن المشركين قالوا : ما نعبد أوثاننا هذه إلا ليقربونا إلى الله زلفى ! فقال الله تعالى ذكره لهم : لي ما في السموات وما في الأرض مع السموات والأرض ملكا ، فلا ينبغي العبادة لغيري ، فلا تعبدوا الأوثان التي تزعمون أنها تقربكم مني زلفى ، فإنها لا تنفعكم عندي ولا تغني عنكم شيئا ، ولا يشفع عندي أحد لأحد إلا بتخليتي إياه والشفاعة لمن يشفع له ، من رسلي وأوليائي وأهل طاعتي . "

[جامع البيان — ابن جرير الطبري (٣١٠ هـ)]

إن المشركين كانوا يعبدون أوثانهم ظنا منهم أن الأوثان شركاء لله .
وللشريك حق على الشريك كما له عليه حق في الملك والإذن . ومع ذلك كانوا يؤمنون أن الله هو الرازق الخالق المدبر وأنه الإله المرغوب في السماء وحده .

كما روي عن عمران بن حصين ؛ قَالَ :

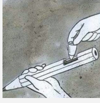
قَالَ النَّبِيُّ لِأَبِي : " يَا حُصَيْنُ، كَمْ تَعْبُدُ الْيَوْمَ إِلَهًا ؟ " قَالَ أَبِي : سَبْعَةً. سِتَّةً فِي الْأَرْضِ وَوَاحِدًا فِي السَّمَاءِ، قَالَ : " فَأَيُّهُمْ تَعُدُّ لِرَغْبَتِكَ وَرَهْبَتِكَ ؟ " قَالَ : الَّذِي فِي السَّمَاءِ، قَالَ : " يَا حُصَيْنُ، أَمَا إِنَّكَ لَوْ أَسْلَمْتَ عَلَّمْتُكَ كَلِمَتَيْنِ تَنْفَعَانِكَ " ، قَالَ : فَلَمَّا أَسْلَمَ حُصَيْنٌ، قَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، عَلِّمْنِيَ الْكَلِمَتَيْنِ اللَّتَيْنِ وَعَدْتَنِي ، فَقَالَ : " قُلِ اللَّهُمَّ أَلْهِمْنِي رُشْدِي وَأَعِذْنِي مِنْ شَرِّ نَفْسِي " .

[رواه الترمذي وقال ؛ هذا حديث حسن غريب ، وروي أيضا من غير هذا الوجه]

وكما قال الله فيهم ؛

(وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلا وَهُمْ مُشْرِكُونَ (١٠٦)) [يوسف ١٠٦]

ولذلك كانوا يعبدون الأوثان ظنا منهم أنها تقربهم إلى الله زلفى مع ظنهم أنها شفعاء لهم لكونها شركاء لله . فلذلك قالوا ؛



(قالُواْ وهُمْ فِيها يَخْتَصِمُونَ (٩٦) تَ اللَّهِ إِن كُنَّا لَفِي ضَلالٍ مُّبِينٍ (٩٧) إِذْ نُسَوِّيكُمْ بِرَبِّ لْعالَمِينَ (٩٨) وَمَا أَضَلَّنَا إِلا الْمُجْرِمُونَ (٩٩) فَمَا لَنَا مِنْ شَافِعِينَ (١٠٠) وَلا صَدِيقٍ حَمِيمٍ (١٠١) فَلَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ (١٠٢))
[الشعراء : ٩٦ - ١٠٢]

فهل يسوغ لنا أن نساوي هؤلاء المشركين ، بالمؤمنين الذين يوحدون الله في ملكه وعبادته ؟ كلا !

وقال الإمام ابن جرير الطبري رحمه الله :

القول في تأويل قوله تعالى :
(وَلا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ عِنْدَهُ إِلا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ حَتَّى إِذَا فُزِّعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا الْحَقَّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ (٢٣))

يقول تعالى ذكره : ولا تنفع شفاعة شافع كائنًا من كان الشافع لمن شفع له ، إلا أن يشفع لمن أذن الله في الشفاعة ، يقول تعالى : فإذا كانت الشفاعات لا تنفع عند الله أحدًا إلا لمن أذن الله في الشفاعة له ، والله لا يأذن لأحد من أوليائه في الشفاعة لأحد من الكفرة به وأنتم أهل كفر به أيها المشركون ، فكيف تعبدون من تعبدونه من دون الله زعمًا منكم أنكم تعبدونه ليقربكم إلى الله زلفى وليشفع لكم عند ربكم . "
[جامع البيان — ابن جرير الطبري (٣١٠ هـ)]

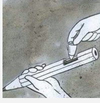
وقال الإمام ابن جرير الطبري رحمه الله ؛

وقوله (وَكَمْ مِنْ مَلَكٍ فِي السَّمَاوَاتِ لا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا)

يقول تعالى ذكره : وكم من ملك في السموات لا تغني : كثير من ملائكة الله، لا تنفع شفاعتهم عند الله لمن شفعوا له شيئا ، إلا أن يشفعوا له من بعد أن يأذن الله لهم بالشفاعة لمن يشاء منهم أن يشفعوا له ويرضى ، يقول :

ومن بعد أن يرضى لملائكته الذين يشفعون له أن يشفعوا له ، فتنفعه حينئذ شفاعتهم ، وإنما هذا توبيخ من الله تعالى ذكره لعبدة الأوثان والملأ من قريش وغيرهم الذين كانوا يقولون (مَا نَعْبُدُهُمْ إِلا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى) فقال الله جلّ ذكره لهم : ما تنفع شفاعة ملائكتي الذين هم عندي لمن شفعوا له ، إلا من بعد إذني لهم بالشفاعة له ورضاي ، فكيف بشفاعة من دونهم ، فأعلمهم أن شفاعة ما يعبدون من دونه غير نافعتهم . "
[جامع البيان — ابن جرير الطبري (٣١٠ هـ)]

فتأمل سبب نفي الشفاعة !



وجاء في تفسير البغوي ؛

(يَوْمَئِذٍ لَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ) يَعْنِي : لَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ أَحَدًا مِنَ النَّاسِ ، (إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ)
يَعْنِي إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ أَنْ يَشْفَعَ ، (وَرَضِيَ لَهُ قَوْلًا) يَعْنِي : وَرَضِيَ قَوْلَهُ ، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ ، يَعْنِي : قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ

وَهَذَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ لَا يَشْفَعُ غَيْرُ الْمُؤْمِنِ .
[تفسير البغوي]

فاستثنى المؤمن .

وقال الإمام ابن جرير الطبري رحمه الله ؛

القول في تأويل قوله تعالى : (لا يَمْلِكُونَ الشَّفَاعَةَ إِلا مَنِ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا (٨٧))

يقول تعالى ذكره : لا يملك هؤلاء الكافرون بربهم يا محمد ، يوم يحشر الله المتقين إليه وفدا الشفاعة ، حين يشفع أهل الإيمان بعضهم لبعض عند الله ، فيشفع بعضهم لبعض (إِلا مَنِ اتَّخَذَ مِنْهُمْ عِنْدَ الرَّحْمَنِ) في الدنيا (عَهْدًا) بالإيمان به ، وتصديق رسوله ، والإقرار بما جاء به ، والعمل بما أمر به .

كما :

حدثني عليّ , قال : ثنا عبد الله ، قال : ثني معاوية ، عن عليّ , عن ابن عباس ، قوله (إِلا مَنِ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا) قال : العهد : شهادة أن لا إله إلا الله ، ويتبرأ إلى الله من الحول والقوّة ولا يرجو إلا الله .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، قوله (لا يَمْلِكُونَ الشَّفَاعَةَ إِلا مَنِ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا) قال : المؤمنون يومئذ بعضهم لبعض شفعاء (إِلا مَنِ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا) قال : عملا صالحا .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (لا يَمْلِكُونَ الشَّفَاعَةَ إِلا مَنِ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا) : أي بطاعته ، وقال في آية أخرى (لا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلا) ليعلموا أن الله يوم القيامة يشفع المؤمنين بعضهم في بعض ، ذكر لنا أن نبيّ الله ﷺ كان يقول : " إِنَّ في أُمَّتِي رَجُلا لَيُدْخِلَنَّ الله بِشَفاعَتِهِ الجَنَّةَ أكْثَرَ مِنْ بني تَمِيمِ " ، وكنا نحدّث أن الشهيد يشفع في سبعين من أهل بيته .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، عن أبي المليح ، عن عوف بن مالك ، قال : قال رسول الله ﷺ : " إِنَّ شَفاعَتِي لِمَنْ ماتَ مِنْ أُمَّتِي لا يُشْرِكُ باللهِ شَيئًا " .

[جامع البيان – ابن جرير الطبري (٣١٠ هـ)]

فليس للمشركين من الشفاعة نصيب أصلا . خلافا للملائكة وللأنبياء وللمؤمنين - بإذنه وفضله - . وإذنُ الشفاعة لهم من تفضله وإكرامه ورحمته . ولكن ليس لمخلوق نصيب في ملك الشفاعة - قطعا - إلا بعد إذنه . ومع ذلك ؛ فالمؤمنون يوم القيامة شفعاء بعضهم لبعض لتواتر الأخبار في ذلك . وطلب هذه الشفاعة إنما هو من نوع طلب الإكرام الذي وعد للذين آمنوا ، مع عدم تيقن حصولها للطالب طبعا ، بل يرجو الله ويخاف عذابه . وهو أيضا من نوع تظاهر الحب والأنس بين المؤمنين واعتراف فضل بعضهم على بعض فحسب .

فلا عبرة لقول الحازمي أن طلب الشفاعة من الحي من باب طلب بما لا يقدر عليه إلا الله . لأن هذه الفرية من نتيجة عقله السقيم المنطقي فقط ؛ حتى أدت نتائجه إلى تكفير الصحابة والتابعين ومن تبعهم بإحسان ، كما سترون بعد قليل إن شاء الله تعالى .

وسبب هذه الزندقة ؛ التوسع والتعمق والتنقيب والتدقيق في هذه المسائل. وقد ذكر الإمام ابن رجب الحنبلي رحمه الله تعالى في رسالته ؛ " بيان فضل علم السلف على علم الخلف " ؛ ذم السلف للتوسع وأن التوسع في كثير من هذه الأبواب يؤدي إلى تحقير الصحابة وتجهيلهم ، وعند الحازمي إلى تكفيرهم . فقال رحمه الله ؛

" فعلم تأثير النجوم باطل محرم . والعمل بمقتضاه كالتقرب إلى النجوم وتقريب القرابين لها كفر وأما علم التسيير فإذا تعلم منه ما يحتاج إليه للإهتداء ومعرفة القبلة والطرق كان جائزا عند الجمهور وما زاد عليه فلا حاجة إليه وهو يشغل عما هو أهم منه . وربما أدى التدقيق فيه إلى إساءة الظن بمحاريب المسلمين في أمصارهم كما وقع ذلك كثيرا من أهل هذا العلم قديما وحديثا وذلك يفضي إلى اعتقاد خطأ الصحابة والتابعين في صلاتهم في كثير من الأمصار وهو باطل . "

[بيان فضل علم السلف على علم الخلف، إبن رجب الحنبلي]

وقال الإمام ابن جرير الطبري رحمه الله ؛

القول في تأويل قوله تعالى : (وَلا يَمْلِكُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الشَّفَاعَةَ إِلا مَنْ شَهِدَ بِالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ (٨٦))

اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك ، فقال بعضهم : معنى ذلك : ولا يملك عيسى وعُزير والملائكة الذين يعبدهم هؤلاء المشركون بالساعة ، الشفاعة عند الله لأحد ، إلا من شهد بالحق ، فوحد الله وأطاعه ، بتوحيد علم منه وصحة بما جاءت به رسله .

ذكر من قال ذلك :
حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله : (وَلا يَمْلِكُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الشَّفَاعَةَ) قال : عيسى ، وعُزير ، والملائكة .

قوله : (إِلا مَنْ شَهِدَ بِالْحَقِّ)

قال : كلمة الإخلاص ، وهم يعلمون أن الله حقّ , وعيسى وعُزير والملائكة يقول : لا يشفع عيسى وعُزير والملائكة إلا من شهد بالحقّ , وهو يعلم الحقّ .

وقال آخرون : عني بذلك : ولا تملك الآلهة التي يدعوها المشركون ويعبدونها من دون الله الشفاعة إلا عيسى وعُزير وذووهما ، والملائكة الذين شهدوا بالحقّ ، فأقروا به وهم يعلمون حقيقة ما شهدوا به .

ذكر من قال ذلك :
حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَلا يَمْلِكُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الشَّفَاعَةَ إِلا مَنْ شَهِدَ بِالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ) : الملائكة وعيسى وعُزير ، قد عُبِدوا من دون الله ولهم شفاعة عند الله ومنزلة .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (إِلا مَنْ شَهِدَ بِالْحَقِّ) قال : الملائكة وعيسى ابن مريم وعُزير ، فإن لهم عند الله شهادة .

وأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يقال : إن الله تعالى ذكره أخبر أنه لا يملك الذين يعبدهم المشركون من دون الله الشفاعة عنده لأحد ، إلا من شهد بالحقّ , وشهادته بالحقّ هو إقراره بتوحيد الله ، يعني بذلك : إلا من آمن بالله ، وهم يعلمون حقيقة توحيده ، ولم يخصص بأن الذي لا يملك ملك الشفاعة منهم بعض من كان يعبد من دون الله ، فذلك على جميع من كان تعبد قريش من دون الله يوم نزلت هذه الآية وغيرهم ، وقد كان فيهم من يعبد من دون الله الآلهة ، وكان فيهم من يعبد من دونه الملائكة وغيرهم ، فجميع أولئك داخلون في قوله : ولا يملك الذين يدعو قريش وسائر العرب من دون الله الشفاعة عند الله . ثم استثنى جلّ ثناؤه بقوله : (إِلا مَنْ شَهِدَ بِالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ) وهم الذين يشهدون شهادة الحقّ فيوحدون الله ، ويخلصون له الوحدانية ، على علم منهم ويقين بذلك ، أنهم يملكون الشفاعة عنده بإذنه لهم بها ، كما قال جلّ ثناؤه : (وَلا يَشْفَعُونَ إِلا لِمَنِ ارْتَضَى) فأثبت جلّ ثناؤه للملائكة وعيسى وعُزير ملكهم من الشفاعة ما نفاه عن الآلهة والأوثان باستثنائه الذي استثناه . "

[جامع البيان — ابن جرير الطبري (٣١٠ هـ)]

فهل بعد هذا البيان بيان ؟ إلا ما بقي من ذكر فعال خيار المؤمنين في ذلك .

الحجج المروية في إبطال بدعة الحازمية

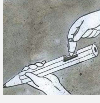
فعن عوف بن مالك الأشجعي ؛ كنا مع رسول الله ﷺ في سفر ، فتسود كل رجل منا ذراع راحلته ، قال : فاستيقظت ، فلم أر رسول الله ﷺ ، فقمت ، فذهبت أطلبه ، فإذا معاذ بن جبل قد أفزعه الذي أفزعني ، قال : فبينما نحن كذلك ، إذا هدير كهدير الرحى ، بأعلى الوادي ، فبينما نحن كذلك ، إذ جاء النبي ﷺ ، فقال : أتاني آت من ربي ، فخيرني بين أن يدخل نصف أمتي الجنة وبين الشفاعة ، فاخترت الشفاعة ، فقلنا : ننشدك الله والصحبة يا رسول الله لما جعلتنا من أهل شفاعتك قال : أنتم من أهل شفاعتي ، قال : ثم انطلقنا إلى الناس ، فإذا هم قد فزعوا حين فقدوا رسول الله ﷺ ، فأتاهم النبي ﷺ ، فقال : إنه أتاني آت من ربي ، فخيرني بين أن يدخل نصف أمتي الجنة وبين الشفاعة ، فاخترتك الشفاعة قالوا : يا رسول الله ! ننشدك الله والصحبة لما جعلتنا من أهل شفاعتك قال : فأنتم من أهل شفاعتي ، فلما أضبوا عليه ، قال : شفاعتي لمن مات من أمتي ، لا يشرك بالله شيئا .

[ابن خزيمة (٣١١ هـ) ، التوحيد ٢ / ٦٤١ , صحيح]

والشاهد ؛

" ... قالوا : يا رسول الله! ننشدك الله والصحبة لما جعلتنا من أهل شفاعتك ... "

وفي صحيح ابن حبان أيضا ؛ عن عوف بن مالك : عرَّس بنا رسولُ اللهِ ﷺ ذاتَ ليلةٍ فافترَش كلُّ رجُلٍ منّا ذِراعَ راحلتِه فانتبَهْتُ في بعضِ اللَّيلِ فإذا ناقةُ النَّبيِّ ﷺ ليس قُدَّامها أحَدٌ فانطلَقْتُ أطلُبُ رسولَ اللهِ ﷺ فإذا معاذُ بنُ جبلٍ وعبدُ اللهِ بنُ قيسٍ قائمانِ قال : قُلْتُ : أين رسولُ اللهِ ؟ : قالا : ما ندري غيرَ أنّا سمِعْنا صوتًا بأعلى الوادي فإذا مِثْلُ هَديرِ الرَّحى فلَمْ نلبَثْ إلّا يسيرًا حتّى أتانا رسولُ اللهِ ﷺ فقال : (إنَّه أتاني اللَّيلةَ آتٍ مِن ربِّي فخيَّرني بيْنَ أنْ يدخُلَ نِصفُ أُمَّتي الجنَّةَ وبيْنَ الشَّفاعةِ وإنِّي اختَرْتُ الشَّفاعةَ)



فقُلْنا : يا رسولَ اللهِ ننشُدُك اللهَ والصُّحبَةَ لَما جعَلْتَنا مِنِ أهلِ شفاعتِك قال : (فإنَّكم مِن أهلِ شفاعتي) قال : فأقبَلْنا إلى النَّاس فإذا هم فزِعوا وفقَدوا نَبيَّهم ﷺ فقال النَّبيُّ ﷺ : (إنَّه أتاني اللَّيلةَ آتٍ فخيَّرني بيْنَ أنْ يدخُلَ نِصفُ أمَّتي الجنَّةَ وبيْنَ الشَّفاعةِ وإنِّي اختَرْتُ الشَّفاعةَ) فقالوا : يا رسولَ اللهِ ننشُدُك اللهَ لَما جعَلْتَنا مِن أهلِ شفاعتِك فقال رسولُ اللهِ : (إنِّي أُشهِدُ مَن حضَر أنَّ شفاعتي لِمَن مات لا يُشرِكُ باللهِ شيئًا مِن أمَّتي)

[ابن حبان (٣٥٤ هـ) ، صحيح ابن حبان ٦٤٦٣]

والشاهد ؛

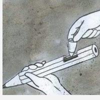
" ... فقالوا : يا رسولَ اللهِ ننشُدُك اللهَ لَما جعَلْتَنا مِن أهلِ شفاعتِك ، ... "

وفي كتاب الإيمان لابن منده أيضا ؛ عن عوف بن مالك الأشجعي : كنّا في بعضِ السفرِ فعرَّس رسولُ اللهِ ﷺ وعرَّسنا معه وتوسَّد كلُّ إنسانٍ منا ذراعَ راحلتِه ، فقمتُ في الليلِ فإذا أنا لا أرى رسولَ اللهِ ﷺ عند راحلتِه فطلبتُه ، فبينا أنا كذلك إذا بمعاذِ بنِ جبلٍ وأبي موسى الأشعريِّ قد أفزعَهما ما أفزعَني ، فبينا نحن كذلك إذ سمعْنا هزيزًا كهزيزِ الرَّحْلِ بأعلى الوادي وإنَّ نبيَّ اللهِ ﷺ جاءنا فأخبرناهُ ، فقال نبيُّ اللهِ ﷺ : إنَّه أتاني الليلةَ آتٍ من ربي فخيَّرني بين الشفاعةِ وبين أنْ يدخلَ نصفُ أمتي الجنةَ فاخترتُ الشفاعةَ. فقلنا : يا رسولَ اللهِ اجعلْنا من أهلِ شفاعتِك ، فقال : أنتم من أهلِ شفاعتي، ثمَّ أقبل رسولُ اللهِ ﷺ إلى الناسِ وأقبلنا معه فلمّا أتاهم أخبر بما كان من أمرِهم ، إنه أتاني اللَّيلةَ آتٍ من ربي فخيَّرني بين الشفاعةِ وبين أنْ يدخلَ نصفُ أمتي الجنةَ فاخترتُ الشفاعةَ. فقالوا : يا رسولَ اللهِ اجعلنا من أهل شفاعتِك ، فلمّا أكثرْنا عليه قال : أُشهِدُ من حضرَني أنَّ شفاعتي لمن مات من أمتي لا يشركُ باللهِ شيئًا .

[ابن منده (٣٩٥ هـ) ، الإيمان لابن منده ٣٥٠ • إسناده صحيح على رسم النسائي إلا أن فيه إرسالا]

والشاهد ؛

" ... فقالوا : يا رسولَ اللهِ اجعلنا من أهل شفاعتِك ، ... "



وعن عوف بن مالك الأشجعي أيضا : أنَّه كانَ مع النبيِّ ﷺ في سَفَرٍ ، فسارَ بهم يَومَهُم أجْمَعَ، لا يَحُلُّ لهُم عُقْدَةً ، ولَيلَتَه جَمْعاءَ لا يَحُلُّ عُقْدَةً ، إلّا لصلاةٍ ، حتى نَزَلوا أوْسَطَ الليلِ ، قال : فرَقَبَ رَجُلٌ رسولَ اللهِ ﷺ حينَ وَضَعَ رَحْلَه ، قال : فانتَهَيتُ إليه فنَظَرتُ ، فلم أرَ أحَدًا إلّا نائِمًا ، ولا بَعيرًا إلّا واضِعًا جِرانَه نائِمًا ، قال : فتَطاوَلْتُ فنَظَرتُ حيثُ وَضَعَ النبيُّ ﷺ رَحْلَه فلم أرَهُ في مَكانِه ، فخَرَجتُ أتَخَطّى الرِّحالَ حتى خَرَجتُ إلى الناسِ ، ثُمَّ مَضَيتُ على وَجْهي في سَوادِ اللَّيلِ ، فسَمِعتُ جَرَسًا فانتَهَيتُ إليه ، فإذا أنا بمُعاذِ بنِ جَبَلٍ والأشْعَريِّ ، فانتَهَيتُ إليهِما ، فقُلتُ : أينَ رسولُ اللهِ ؟ فإذا هَزيزٌ كهَزيزِ الرَّحا ، فقُلتُ : كأنَّ رسولَ اللهِ ﷺ عِندَ هذا الصَّوتِ ، قالا : اقْعُدْ ، اسكُتْ ، فمَضى قَليلًا فأقْبَلَ حتى انْتَهى إلينا ، فقُمْنا إليه ، فقُلْنا : يا رسولَ اللهِ ، فَزِعْنا إذْ لم نَرَكَ ، واتَّبَعْنا أثَرَكَ ، فقال : إنَّه أتاني آتٍ مِن ربِّي فخَيَّرَني بَينَ أنْ يَدخُلَ نِصفُ أُمَّتي الجَنَّةَ ، وبَينَ الشَّفاعةِ ، فاختَرْتُ الشَّفاعةَ ، فقُلْنا : نُذَكِّرُكَ اللهَ والصُّحْبةَ إلّا جَعَلْتَنا مِن أهلِ شَفاعَتِكَ ، قال : أنتُم منهم ، ثُمَّ مَضَيْنا ، فيَجيءُ الرَّجُلُ والرَّجُلانِ ، فيُخْبِرُهم بالذي أخْبَرَنا به ، فيُذَكِّرونه اللهَ والصُّحبةَ إلّا جَعَلَهُم مِن أهلِ شَفاعَتِه ، فيقولُ ، فإنَّكُم منهم ، حتى انْتَهى الناسُ ، فأضَبُّوا عليه وقالوا : اجْعَلْنا منهم . قال : فإنِّي أُشهِدُكُم أنَّها لِمَن ماتَ مِن أُمَّتي لا يُشرِكُ باللهِ شَيئًا .

[صحيح • أخرجه أحمد (٢٣٩٧٧) واللفظ له ، والطيالسي (١٠٩١) ، وابن أبي عاصم في « السنة » (٨١٨)]

والشاهد ؛

" ... فقُلْنا؛: نُذَكِّرُكَ اللهَ والصُّحْبةَ إلّا جَعَلْتَنا مِن أهلِ شَفاعَتِك ، ... "

وعن أبي موسى الأشعري عبدالله بن قيس : غزونا مع رسولِ اللهِ ﷺ في بعضِ أسفارِه فعرسَ بنا رسولُ اللهِ ﷺ فانتهيت في بعضِ الليلِ إلى مناخِ رسولِ اللهِ ﷺ فلم أجدْه فخرجتُ أطلبُه بارزا فإذا رجلٌ من أصحابِ رسولِ اللهِ ﷺ يطلبُ ما أطلبُ قال فبينا نحن كذلك إذ اتَّجه إلينا رسولُ اللهِ ﷺ قال فقلنا : يا رسولَ اللهِ أنت بأرضِ حربٍ ولا نأمنُ عليك فلولا إذ بدت لك حاجةٌ قلتَ لبعضِ أصحابِك فقام معك فقال رسولُ اللهِ ﷺ إني سمعت هزيزًا كهزيزِ الرحا وحنينًا كحنينِ النحلِ وأتاني آتٍ من ربِّي فخيَّرني بينَ أن يدخلَ ثلثُ أمتي الجنةَ وبينَ الشفاعةِ فاخترت لهم شفاعتي وعلمت أنها أوسعُ لهم قال فقلنا :

يا رسولَ اللهِ ادعُ اللهَ أن يجعلَنا من أهلِ شفاعتِك فدعا لهما ثم إنهما انتهيا إلى أصحابِ رسولِ اللهِ ﷺ وأخبراهم بقولِ رسولِ اللهِ ﷺ قال فجعلوا يأتونَه ويقولون : يا رسولَ اللهِ ادعُ اللهَ أن يجعلَنا من أهلِ شفاعتِك فيدعو لهم فلما أضَبَّ عليه القومُ وكثُروا قال رسولُ اللهِ ﷺ إنها لمن مات وهو يشهدُ أن لا إلهَ إلا اللهُ وفي روايةٍ فسرنا حتى إذا كنا بقريبِ من الصبحِ نزل فاجتمعنا حولَه وكذلك كنا نفعلُ فعقلَ ناقتَه ثم جعل خدَّه على عقالِها ثم نام وتفرقنا فرفعت رأسي فإذا أنا لا أراه في مكانِه فذَعَرني ذلك فقمت فإذا أنا أسمعُ مثلَ هزيزِ الرحاءِ من قبلِ الوادي إذ جاء رسولُ اللهِ ﷺ مستبشرًا قال قلت يا رسولَ اللهِ أين كنتَ قال كأنه راعَك حينَ لم ترَنِي في مكاني قلت إيْ واللهِ قد راعني قال أتاني جبريلُ عليه السلامُ آنفًا فخيَّرني بينَ الشفاعةِ وبينَ أن يُغفرَ لنصفِ أمتي فاخترتُ الشفاعةَ فنهض القومُ إليه فقالوا يا رسولَ اللهِ اشفعْ لنا قال شفاعتي لكم فلما أكثَروا عليه قال مَن لقِيَ اللهَ يشهدُ أن لا إلهَ إلا اللهُ دخل الجنةَ .

[الهيثمي (٨٠٧ هـ)، مجمع الزوائد ١٠ / ٣٧١ • أحد أسانيد الطبراني رجاله ثقات]

والشاهد ؛

" ... فقالوا : يا رسولَ اللهِ اشفعْ لنا ، ... "

وعن مصعب الأسلمي قال : انطلق غلام منا فأتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : أني سائلك سؤالا، قال : " ما هو ؟ " قال ؛ أسألك أن تجعلني ممن تشفع له يوم القيامة ، قال : " من أمرك بهذا ، ومن علمك هذا ، ومن دلك على هذا ؟ " قال ما أمرني به أحد إلا نفسي . قال : " فإنك ممن أشفع له يوم القيامة " . [رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح]

والشاهد ؛

" ... قال ؛ أسألك أن تجعلني ممن تشفع له يوم القيامة ، ... "

وعن معاذ بن جبل وأبي موسى الأشعري : كان رسولُ اللهِ ﷺ إذا نَزَلَ مَنزِلًا , كان الذي يَلِيه المُهاجِرينَ قال : فنَزَلْنا مَنزِلًا , فقام النَّبيُّ ﷺ ونحن حَولَه ، قال : فتَعارَرتُ مِن اللَّيلِ أنا ومُعاذٌ , فنَظَرْنا , قال : فخَرَجْنا نَطلُبُه , إذ سَمِعْنا هَزيزًا كهَزيزِ الأَرْحاءِ , إذ أقبَلَ , فلمّا أقبَلَ نَظَرَ , قال : ما شأنُكم ؟ قالوا :

انتبَهْنا فلمْ نَرَكَ حيث كنتَ , خَشِينا أنْ يكونَ أصابَكَ شيءٌ , جِئْنا نَطلُبُكَ , قال : أتاني آتٍ في مَنامي , فخَيَّرَني بيْنَ أنْ يَدخُلَ الجنَّةَ نِصفُ أُمَّتي , أو شَفاعةٍ , فاختَرتُ لهم الشَّفاعةَ , فقُلْنا : فإنّا نَسأَلُكَ بحَقِّ الإسلامِ , وبحَقِّ الصُّحبةِ لما أدخَلتَنا الجنَّةَ , قال : فاجتمَعَ عليه النُّاس , فقالوا له مِثلَ مَقالتِنا , وكَثُرَ النُّاس , فقال , إنِّي أجعَلُ شَفاعتي لمَن مات لا يُشرِكُ باللهِ شيئًا . [أخرجه أحمد (٢٢٠٢٥) واللفظ له ، صحيح ، والبزار (٢٦٤٧) مختصراً ، والطبراني (٢٠ / ١٦٣) (٣٤٢) مختصراً]

والشاهد ؛
" ... فقُلْنا : فإنّا نَسأَلُكَ بحَقِّ الإسلامِ، وبحَقِّ الصُّحبةِ لما أدخَلتَنا الجنَّة ، ... " !!!

فهل الحازمي الخارجي المعتزلي سيرمي الآن الصحابة رضي الله عنهم بالشرك وأنهم طلبوا من غير الله ما لا يقدر عليه إلا الله ؟ !

فأقول له ولأتباعه ؛

عن حذيفة بن اليمان : قال ؛ قال رسول الله ﷺ ؛ " إنَّ ما أتخوَّفُ عليكم رجُلٌ قرَأ القُرآنَ حتّى إذا رُئِيَتْ بهجتُه عليه وكان رِدْئًا للإسلامِ غيَّرَه إلى ما شاء اللهُ فانسلَخ منه ونبَذه وراءَ ظَهرِه وسعى على جارِه بالسَّيفِ ورماه بالشِّركِ " قال : قُلْتُ : يا نبيَّ اللهِ أيُّهما أَوْلى بالشِّركِ المَرْميُّ أم الرّامي ؟ قال : (بلِ الرّامي) " [ابن حبان (٣٥٤ هـ) ، صحيح ابن حبان ٨١ ، أخرجه في صحيحه]

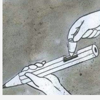
وعن عبد الله بن مسعود : أكثَرْنا الحديثَ عندَ رسولِ اللهِ صلّى اللهُ عليه وسلَّمَ ذاتَ ليلةٍ , ثُمَّ غَدَوْنا إليه، فقال : « عُرِضَتْ عليَّ الأنبياءُ اللَّيلةَ بأُممِها ، فجعَلَ النَّبيُّ يمُرُّ ومعه الثَّلاثةُ , والنَّبيُّ ومعه العِصابةُ , والنَّبيُّ ومعه النَّفَرُ , والنَّبيُّ ليس معه أحدٌ , حتى مَرَّ عليَّ موسى معه كَبْكَبةٌ مِن بَني إسرائيلَ , فأعجَبوني , فقُلْتُ : مَن هؤلاء ؟ فقيلَ لي : هذا أخوكَ موسى, معه بنو إسرائيلَ » ، قال : « قُلْتُ : فأين أُمَّتي؟ فقيلَ لي : انظُرْ عن يمينِكَ , فنظَرْتُ , فإذا الظِّرابُ قد سُدَّ بوُجوهِ الرِّجالِ , ثُمَّ قيلَ لي : انظُرْ عن يسارِكَ , فنظَرْتُ , فإذا الأُفُقُ قد سُدَّ بوُجوهِ الرِّجالِ , فقيلَ لي:: أرَضيتَ ؟ فقُلْتُ : رَضيتُ يا ربِّ ، رَضيتُ يا ربِّ » ، قال: « فقيلَ لي : إنَّ مع هؤلاء سبعينَ ألْفًا يَدخُلونَ الجنَّةَ بغيرِ حِسابٍ » ، فقال النَّبيُّ صلّى اللهُ عليه وسلَّمَ :

« فِدًا لكم أبي وأُمِّي ، إنِ استطَعتم أنْ تكونوا مِن السَّبعينَ الألْفِ ، فافعَلوا ، فإنْ قصَّرْتم ، فكونوا مِن أهلِ الظِّرابِ ، فإنْ قصَّرْتم ، فكونوا مِن أهلِ الأُفُقِ ، فإنِّي قد رأَيْتُ ثَمَّ ناسًا يَتَهاوَشونَ » ، فقام عُكَّاشة بنُ مِحصَنٍ ، فقال : ادْعُ اللهَ لي يا رسولَ اللهِ ، أنْ يجعَلَني مِن السَّبعينَ ، فدَعا له ، فقام رَجُلٌ آخَرُ ، فقال ، ادْعُ اللهَ يا رسولَ اللهِ ، أنْ يجعَلَني منهم ، فقال : « قد سبقَكَ بها عُكَّاشة » ، قال : ثُمَّ تحدَّثْنا ، فقُلْنا : مَن ترَونَ هؤلاء السَّبعونَ الألْفَ ؟ قَومٌ وُلِدوا في الإسلامِ ، لم يُشرِكوا باللهِ شيئًا حتى ماتوا ؟ فبلَغَ ذلك النَّبيَّ صلّى اللهُ عليه وسلَّمَ ، فقال : « هم الَّذين لا يَكْتَوونَ ، ولا يَسترْقونَ ، ولا يَتطيَّرونَ ، وعلى ربِّهم يَتوكَّلونَ » .

[أخرجه أحمد (٣٨٠٦) واللفظ له ، صحيح ، وابن أبي شيبة (٢٤٠٩١) مختصراً ، وأبو يعلى (٥٣٣٩) باختلاف يسير]

وعن أبي هريرة : يَدْخُلُ الجَنَّةَ مِن أُمَّتي زُمْرَةٌ هي سَبْعُونَ ألْفًا ، تُضِيءُ وُجُوهُهُمْ إضاءَةَ القَمَرِ فَقامَ عُكاشَةُ بنُ مِحْصَنٍ الأسَدِيُّ ، يَرْفَعُ نَمِرَةً عليه ، قالَ : ادْعُ اللَّهَ لي يا رَسُولَ اللَّهِ أنْ يَجْعَلَنِي منهمْ ، فَقالَ : اللَّهُمَّ اجْعَلْهُ منهمْ ثُمَّ قامَ رَجُلٌ مِنَ الأنْصارِ فَقالَ : يا رَسُولَ اللَّهِ ، ادْعُ اللَّهَ أنْ يَجْعَلَنِي منهمْ، فَقالَ رَسُولُ اللَّهِ : سَبَقَكَ عُكاشَةُ ،

[البخاري (٢٥٦ هـ) أخرجه البخاري (٥٨١١) واللفظ له ، ومسلم (٢١٦)]



وفي الطبقات الكبرى لابن سعد ؛ أخبرنا عفان بن مسلم قال : حدثنا حماد بن سلمة عن علي بن زيد عن علي بن الحسين أن كعبا أخذ بيد المغيرة بن نوفل فقال : اشفع لي يوم القيامة . قال فانتزع يده من يده وقال : وما أنا ؟ إنما أنا رجل من المسلمين . قال فأخذه بيده فغمزها غمزا شديدا وقال : ما من مؤمن من آل محمد إلا وله شفاعة يوم القيامة . ثم قال : اذكر هذا بهذا .

والشاهد ؛
" ... فقال : اشفع لي يوم القيامة ... "

والحازمي فرق بين طلب شفاعة لنفع في الدنيا وبين طلب شفاعة لنفع في الآخرة . وهذا التفريق والتقسيم باطل لا أصل له . إذ ليس هناك أي نص صريح لهذا التقسيم . وكما قال ؛

عَبْدَ اللهِ بْنَ الْمُبَارَك رحمه اللهِ : « الْإِسْنَادُ مِنَ الدِّينِ ، وَلَوْلَا الْإِسْنَادُ لَقَالَ مَنْ شَاءَ مَا شَاءَ » .
[مقدمة صحيح مسلم 1 / 15]

وكما قال ابن القيم رحمه الله ؛

الكفر حق الله ثم رسوله * بالنص يثبت لا بقول فلان**
من كان رب العالمين وعبده * قد كفراه فذاك ذو الكفران**

[الشافية الكافية في الانتصار للفرقة الناجية ، ص . 243]

أخبرنا خالد بن مخلد قال : حدثني الحكم بن الصلت المؤذن قال : حدثني عبد الملك بن المغيرة بن نوفل قال : حدثني أبي قال : أخذ بيدي كعب الأحبار فعصرها ثم قال : أختبئ هذه عندك لتذكرها يوم القيامة . قال : وما أذكر منها ؟ قال : والذي نفسي بيده ليبدأن محمد بالشفاعة يوم القيامة بالأقرب فالأقرب .
[إبن سعد ، الطبقات الكبرى ، 5 / 16]

وفي الزهد للإمام أحمد ؛ حدثنا عبد الله، حدثني عبيد الله بن عمر القواريري ، حدثنا أبو أحمد الزبيري ، حدثنا شعبة بن زيادة الأموي قال : رأيت عمر بن عبد العزيز آخذا بعكنة من عكن عبد الله بن حسن فغمزها وقال : « إني لأرجو الشفاعة بها يوم القيامة » [كتاب الزهد ، أحمد بن حنبل ، 1 / 240]

والشاهد ؛
" ... وقال : « إني لأرجو الشفاعة بها يوم القيامة » "

وفي كتاب الشريعة للآجري ؛ أنا أبو جعفر محمد بن صالح بن ذريح العكبري قال : حدثنا هناد بن السري قال: حدثنا عبدة يعني ابن سليمان , عن سعيد بن أبي عروبة , عن قتادة , عن أبي المليح , عن عوف بن مالك الأشجعي قال : كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في بعض أسفاره فذكر حديثا طويلا قال فيه : وإن نبي الله صلى الله عليه وسلم جاءنا فقال :

« أتاني الليلة آت من ربي عز وجل فخيرني بين الشفاعة وبين أن يدخل نصف أمتي الجنة فاخترت الشفاعة » فقلنا : يا رسول الله , اجعلنا في شفاعتك فقال : « إنكم أهل شفاعتي » , ثم أقبلنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الناس فقال : « إنه أتاني الليلة آت من ربي عز وجل فخيرني بين الشفاعة وبين أن يدخل نصف أمتي الجنة فاخترت الشفاعة » فقالوا : يا رسول الله , اجعلنا من أهل شفاعتك , فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أشهد من حضرني أن شفاعتي لمن مات من أمتي لا يشرك بالله شيئا »
[الآجري ، الشريعة ، 3 / 1224]

والشاهد ؛

" ... فقلنا : يا رسول الله, اجعلنا في شفاعتك ... "

حدثنا أبو محمد يحيى بن محمد بن صاعد قال : حدثنا الحسن بن عبد العزيز الجروي قال : حدثنا يحيى بن حسان التنيسي قال : حدثنا الوليد بن رباح الذماري قال : حدثني نمران الذماري قال : " دخلنا على أم الدرداء , ونحن أيتام صغار , فمسحت رءوسنا وقالت : أبشروا يا بني , فإني أرجو أن تكونوا من شفاعة أبيكم , فإني سمعت أبا الدرداء يقول : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يشفع الشهيد في سبعين من أهل بيته »

[الآجري ، الشريعة ، 3 / 1245]

والشاهد ؛

" ... وقالت : أبشروا يا بني , فإني أرجو أن تكونوا من شفاعة أبيكم ... "

فأي بشارة هذه عند الحازمي ؟ ! بشارة شركية ؟ !

أنبأنا أبو محمد عبد الله بن محمد بن ناجية قال : حدثنا عبد الله بن عمر بن أبان الكوفي قال : حدثنا محمد بن فضيل قال : حدثنا زكرياء بن أبي زائدة , عن عطية العوفي أن كعب الأحبار , أخذ بيد العباس رضي الله عنه فقال : « إني أدخر هذا للشفاعة » فقال : وهل شفاعة إلا للأنبياء " ؟ أو قال : « وهل لي شفاعة » ؟ قال : « نعم , ليس من أهل بيت نبي إلا كانت له الشفاعة »

والشاهد ؛

" ... فقال : « إني أدخر هذا للشفاعة » ... "

حدثنا أبو بكر عبد الله بن محمد بن عبد الحميد الواسطي قال : نا محمد بن يزيد , أبو هشام الرفاعي قال : حدثنا محمد بن فضيل قال : حدثنا زكريا بن أبي زائدة , عن عطية بن سعد قال : أخذ كعب الأحبار بيد العباس فقال : إنى أختبيها للشفاعة عندك , فقال العباس : وهل لي شفاعة؟ قال : « نعم , ليس أحد من أهل بيت النبي صلى الله عليه وسلم إلا كانت له شفاعة يوم القيامة »

والشاهد ؛
" ... فقال : إني أختبيها للشفاعة عندك ... "

وحدثنا أبو بكر بن أبي داود قال : حدثنا محمد بن يحيى بن فياض قال : حدثنا يزيد بن هارون قال : أنبأنا زكريا بن أبي زائدة , عن عطية قال : أخذ كعب بيد العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه فقال : « احفظها لي عندك , تشفع لي بها يوم القيامة » , فقال العباس : وهل لي من شفاعة ؟ قال : « نعم , إنه ليس أحد من أهل بيت نبي يسلم إلا كانت له شفاعة »

والشاهد ؛
" ... فقال : « احفظها لي عندك , تشفع لي بها يوم القيامة » ... "

قال محمد بن حسين الآجري رحمه الله تعالى : " فأنا أرجو لمن آمن بما ذكرنا من الشفاعة وبقوم يخرجون من النار من الموحدين , وبجميع ما تقدم ذكرنا له , وبجميع ما سنذكره إن شاء الله من المحبة للنبي صلى الله عليه وسلم ولأهل بيته وذريته وصحابته وأزواجه رضي الله عنهم أجمعين : أن يرحمنا مولانا الكريم , ولا يحرمنا وإياكم من تفضله ورحمته , وأن يدخلنا وإياكم في شفاعة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم , وشفاعة من ذكرنا من الصحابة وأهل بيته , وأزواجه رضي الله عنهم أجمعين , ومن كذب بالشفاعة , فليس له فيها نصيب , كما قال أنس بن مالك . "
[الآجري ، الشريعة ، 3 / 1250 - 1252]

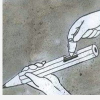
الخاتمة

فإياكم يا مسلمون ويا حملة القرآن والسنة من هذه الوقاحة الخارجية الحازمية ! أحذركم وأنذركم بالله من هذه البدعة الشنيعة ومن هذه الوقيعة في رسول الله ﷺ وآله وصحابته وأمته الفقيرة .
فاتقوا الله واسمعوا ما قال الإمام البربهاري رحمه الله تعالى ؛

" فانظر رحمك الله كل من سمعت كلامه من أهل زمانك خاصة فلا تعجلن ، ولا تدخلن في شيء منه حتى تسأل وتنظر هل تكلم به أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أو أحد من العلماء ؟ فإن وجدت فيه أثرا عنهم فتمسك به ، ولا تجاوزه لشيء ، ولا تختر عليه شيئا فتسقط في النار . "
[شرح السنة]

واسمعوا ما قال الإمام ابن بطة العكبري رحمه تعالى - كأنه أراد الحازمي والغلاة كلهم - ؛

٣٠٩ - حدثنا أبو بكر أحمد بن محمد بن السري بن أبي دارم الكوفي ، بالكوفة ، قال : أخبرني أبو الحسن علي بن الحسين بن هذيل القطان ، قال : سمعت يحيى بن معاذ الرازي يقول : « الناس خمس طبقات فاجتنب أربعا ، والزم واحدة ، فأما الأربع الذين يجب عليك أن تجتنبهن » ، فذكر ثلاث طبقات اختصرت أنا الكلام بترك وصفهم لكثرته ، ثم قال ؛



والطبقة الرابعة : فهم المتعمقون في الدين الذين يتكلمون في العقول ، ويحملون الناس على قياس أفهامهم ، قد بلغ من فتنة أحدهم ، وتمكن الشك من قلبه ، أنك تراه يحتج على خصمه بحجة قد خصمه بها ، وهو نفسه من تلك الحجة في شك ، ليس يعتقدها ، ولا يجهل ضعفها ، ولا ديانة له فيها ، إن عرضت له من غيره حجة هي ألطف منها انتقل إليها فدينه محمول على سفينة الفتن يسير بها في بحور المهالك يسوقها الخطر ، ويسوسها الحيرة ، وذلك حين رأى عقله أملى بالدين ، وأضبط له ، وأغوص على الغيب ، وأبلغ لما يراد من الثواب من أمر الله إياه ، ونهيه ، وفرائضه الملجمة للمؤمنين عن اختراق السدود ، والتنقير عن غوامض الأمور ، والتدقيق الذي قد نهيت هذه

الأمة عنه ، إذ كان ذلك سبب هلاك الأمم قبلها ، وعلة ما أخرجها من دين ربها وهؤلاء هم الفساق في دين الله المارقون منه التاركون لسبيل الحق المجانبون للهدى الذين لم يرضوا بحكم الله في دينه حتى تكلفوا طلب ما قد سقط عنهم طلبه ، ومن لم يرض بحكم الله في المعرفة حكما لم يرض بالله ربا ، ومن لم يرض بالله ربا كان كافرا ، وكيف يرضون بحكم الله في الدين ، وقد بين لنا فيه حدودا ، وفرض علينا القيام عليها ، والتسليم بها ، فجاء هؤلاء بعد قلة عقولهم ، وجور فطنهم وجهل مقاييسهم ، يتكلمون في الدقائق ، ويتعمقون ؟ فكفى بهم خزيا سقوطهم من عيون الصالحين ، يقتصر فيهم على ما قد لزمهم في الأمة من قالة السوء ، وألبسوا من أثواب التهمة ، واستوحش منهم المؤمنون ، ونهى عن مجالستهم العلماء ، وكرهتهم الحكماء، واستنكرتهم الأدباء، وقامت منهم فراسة البصراء، شكاكون جاهلون ، ووسواسون متحيرون ، فإذا رأيت المريد يطيف بناحيتهم فاغسل يدك منه ، ولا تجالسه "

وقال ؛

" فاتقوا الله يا معشر المسلمين ، وانتهوا عن السؤال ، والتنقير ، والبحث عما يشكك اليقين ، وليس هو من فرائض الدين ، ولا من شريعة المسلمين ، ولا تقتدوا بالزائغين ، ولا تثق نفوسكم إلى استماع كلام المتنطعين الذين اتهموا أئمة المسلمين ، وردوا ما جاءوا به عن رب العالمين ، وحكموا آراءهم ، وأهواءهم في دين الله ودعوا الناس إلى ما استحسنوه دون كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم . "

وقال ؛

" الله الله إخواني يا أهل القرآن ، ويا حملة الحديث لا تنظروا فيما لا سبيل لعقولكم إليه ، ولا تسألوا عما لم يتقدمكم السلف الصالح من علمائكم إليه ، ولا تكلفوا أنفسكم ما لا قوة بأبدانكم الضعيفة ، ولا تتقروا ، ولا تبحثوا عن مصون الغيب ، ومكنون العلوم ، فإن الله جعل للعقول غاية تنتهي إليها ، ونهاية تقصر عندها ، فما نطق به الكتاب ، وجاء به الأثر فقولوه ، وما أشكل عليكم فكلوه إلى عالمه ، ولا تحيطوا الأمور بحيط العشوا حنادس الظلماء بلا دليل هادة، ولا ناقد بصير أتراكم أرجح أحلاما ، وأوفر عقولا من الملائكة

المقربين حين قالوا : { لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم } [البقرة : ٣٢].

[الإبانة الكبرى ، إبن بطة العكبري]

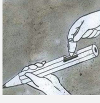
فالله الله يا معشر المسلمين ! عليكم بكتاب الله وبسنة رسوله وبسنن الصحابة رضي الله عنهم أجمعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين . فهؤلاء القوم تنطعوا فهلكوا وقد حذرنا رسول الله ﷺ من التنطع والغلو في الدين ! كما قاله رسولنا الأمين ﷺ ؛

" هَلَكَ الْمُتَنَطِّعُون " قالَها ثَلاثًا .

[مسلم (٢٦١ هـ) ، صحيح مسلم ٢٦٧٠]

وعن عبدالله بن عباس : قالَ لي رسولُ اللَّهِ ﷺ ؛ ... وإيّاكم والغلوّ في الدِّين ، فإنَّما أَهلَكَ من كان قبلَكُمُ الغلوُّ في الدِّينِ .

[صحيح النسائي ٣٠٥٧ ، صحيح]



التنبيه المختصر على بدعهم المنتشرة

وأريد أن أنبه في الختام على بدعهم التي انتشرت .

فبدع هؤلاء متعددة . وأشنعها ، أنهم جعلوا من " أصل الدين " ما ليس منه . ويريدون بأصل الدين ؛ ما علم بالعقل والفطرة ضرورة قبل بلوغ الحجة الرسالية ، وما لا يجوز الجهل والتأويل والتقليد فيه .

فجعلوا منه (أي ؛ من أصل الدين) :

- تكفير المشركين
- تكفير العاذر
- كل مسألة متعلقة بالشرك والتوحيد

فهؤلاء طائفة ابتليت بتكفير بعضهم لبعض . والسبب : إنما هو هذه البدع التي ذكرتها. فما أحسن ما قال الإمام ابن بطة العكبري معلقا على ما قال الإمام الشافعي رحمهم الله ؛

حَدَّثَنَا حَفْصُ بْنُ عُمَرَ الْأَرْدُبِيلِيُّ , قَالَ : حَدَّثَنَا أَبُو حَاتِمٍ, قَالَ : حَدَّثَنَا حَسَنُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ الْجَرَوِيُّ, قَالَ :

كَانَ الشَّافِعِيُّ " يَنْهَى النَّهْيَ الشَّدِيدَ عَنِ الْكَلَامِ فِي الْأَهْوَاءِ وَيَقُولُ : أَحَدُهُمْ إِذَا خَالَفَهُ صَاحِبُهُ قَالَ : كَفَرْتَ , إِنَّمَا يُقَالُ فِيهِ : أَخْطَأْتَ . "

فقال الإمام ابن بطة العكبري رحمه الله تعالى ؛
فَأَهْلُ الْأَهْوَاءِ فِي تَكْفِيرِ بَعْضِهِمْ لِبَعْضٍ مُصِيبُونَ , لِأَنَّ اخْتِلَافَهُمْ فِي شَرَائِعَ شَرَعَتْهَا أَهْوَاؤُهُمْ , وَدِيَانَاتٍ اسْتَحْسَنَتْهَا آرَاؤُهُمْ , فَتَفَرَّقَتْ بِهِمُ الْأَهْوَاءُ , وَشَتَّتْ بِهِمُ الْآرَاءُ , وَحَلَّ بِهِمُ الْبَلَاءُ , وَحُرِمُوا الْبَصِيرَةَ وَالتَّوْفِيقَ , فَزَلَّتْ أَقْدَامُهُمْ عَنْ مَحَجَّةِ الطَّرِيقِ , فَالْمُخْطِئُ مِنْهُمْ زِنْدِيقٌ , وَالْمُصِيبُ عَلَى غَيْرِ أَصْلٍ وَلَا تَحْقِيقٍ " [الإبانة الكبرى ، 2 / 535]

فأنصح المسلمين بالإتباع والتأني والحذر من المحدثات وتعلم دينهم وسنن صحابة رسولهم .

ولا أدعي لنفسي بكتابة هذه الرسالة علما أو مقاما . إنما هذا ما يسر الله لي دفاعا وانتصارا وغيرة للسنة وللصحابة رضي الله عنهم أجمعين ومعذرة إلى ربي . وإن أخطأت فيها فغفر الله لي وإن أصبت فيها فبتوفيقه عز وجل . والله الموفق لكل خير ، ...

اللهم اهدنا واهد بنا واجعلنا هداة المهتدين لا ضالين ولا مضلين برحمتك يا أرحم الراحمين ويا أكرم الأكرمين . آمين .

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه ومن والاه والحمد لله رب العالمين ، ...

بقلم
الفقير إلى ربه ؛
إبن السَّبَّاك - غفر الله له -

ibnsbk@hotmail.com

ذو القعدة - 1440